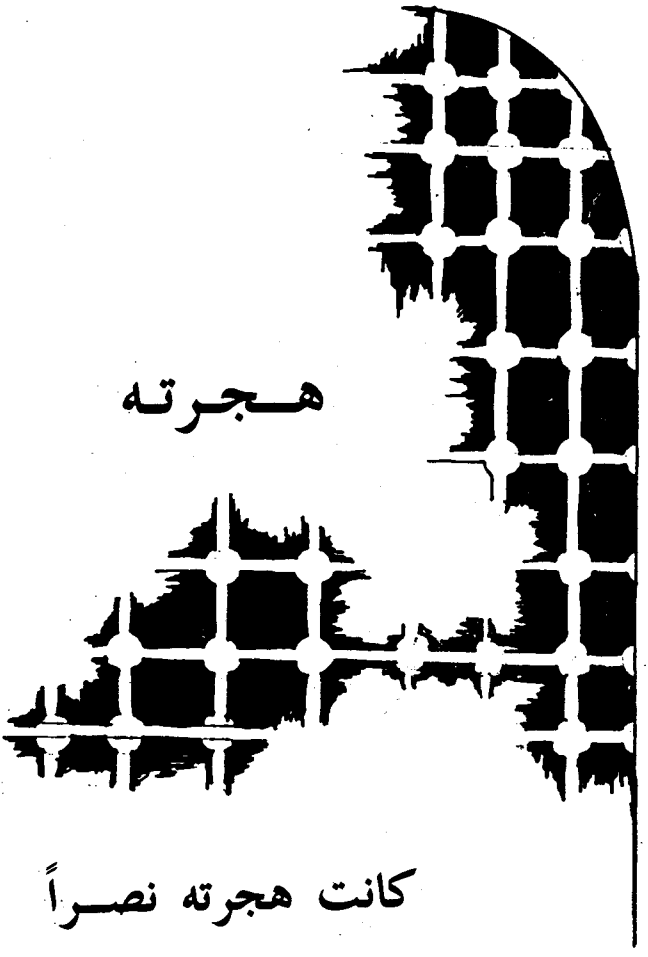
هـجرته
كانت هجرته نصـراً

قال الراوى : وكانت هجرته نصرا ..

نعم كانت هجرته نصرا .. فقد كان أنصح أعوان النبى ﷺ فى المدينة لله ورسوله والمسلمين ، وأغلظ أصحاب النبى ﷺ على اليهود والمنافقين !

وظل عمر بعد إسلامه قوى الجرأة ، شديد الوطأة على المشركين ، حتى أذن الله بالهجرة لرسوله ولأصحابه ، فجعلوا يهاجرون مُستَخْفين إلا عمر بن الخطاب ، فإنه هاجر من مكة إلى المدينة على مرأى ومسمع من قريش ، وتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يديه أسهما ، واختصر عَنَزَته[1]، ومضى ، قِبَل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى متمكنا ، ووقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت الوجوه ، لا يُرْغِمُ الله إلا هذه المعاطس !

من أراد أن تثكله أمه ، أو ييتم ولده ، أو ترمّل زوجه فليتبعنى وراء هذا الوادى ، فلم يتبعه أحد ، ثم مضى لوجهه !

وجعل بعد الهجرة يذود عن الحق ، ويصول على الباطل ، وينافح عن الإسلام ، وكان مضرب المثل فى الشجاعة ، وحسن الصُّحبة ، والوفاء للصادق الأمين ﷺ وشهد معه كل غزواتِهِ وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين له ﷺ .

رثاء عمر للرسول ﷺ :

قال الراوى : لما توفى رسول الله ﷺ رثاه عمر بقوله : بأبى أنت وأمى[2] يا رسول الله ، لقد كان لك جذع تخطبنا عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتُسْمِعَهم ، فحنّ الجذع لفراقِك حتى جَعلتَ يدك عليه فسكن ، فأهلُك أولى بالحنين إليك حين فارقتَهم .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ، أن جعل طاعتك طاعته فقال :

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠].

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده : أن بعثك آخر

---

(١) أطول من العصا وأقصر من الرمح فى أسفلها زُجّ لَزَجّ الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) أفديك بهما .

الأنبياء ، وذكرك فى أولهم ، فقال : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وعيسى ابن مريم** ﴾ [الأحزاب : ٧] .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده : أن أهلَ النار يوَدّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يُعَذّبون يقولون :

﴿ **يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾ [الأحزاب : ٦٦].

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان موسى – عليه السلام – أعطاه الله حجراً تتفجّر منه الأنهار ، فما ذلك بأعجبَ من أصابعك حين نبع الماء منها !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان سليمان بن داود – عليهما السلام – أعطاه الله ريحًا غدوها شهر ، ورواحها شهر ، فما ذلك بأعجب من البَراق حين أسريت عليه إلى السماء السابعة ، ثم صليت الصبح فى ليلتك بالأبطح !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان عيسى ابن مريم – عليه السلام – أعطاه الله إحياء الموتى ، فما ذلك بأعجب من الشاة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت : لا تأكلنى ؛ فإنى مسمومة !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد دعا نوح – عليه السلام – على قومه فقال :

﴿ **ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا** ﴾ [نوح : ٢٦] ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا !

فلقد وُطِىء ظهرك ، وأُدْمى وجهك ، وكُسِرت رَبَاعيتك[1]، فأبيت أن تقول إلا خيرا .. قلت :

« **اللهّم اغفر لقومى ؛ فإنهم لا يعلمون** » .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد اتَّبعَك فى قِلّةِ سِنِيِّك ، وقِصَر عمرك ما لم يتّبع نوحا عليه السلام فى كثرة سنيِّه ، وطول عمره ، فلقد آمن بك كثير ، وما آمن به إلا قليل !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ، لما جالستنا ، ولو

---

(١) الرَباعية : السن بين الثنية والناب ، وهى أربع : رباعيتان فى الفك الأعلى ، ورباعيتان فى الفك الأسفل .

لم تواكل إلا كفؤاً لنا لما واكلتنا ، ولبست الصوف ، وركبت الحمار ، وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض تواضعا منك ﷺ .

قال الراوى : ولما لحق – عليه السلام – بربه كان لعمر أكبر الفضل فى الإسراع ببيعة أبى بكر حسْمًا للنزاع فى أمر الخليفة ، وخوفا من أن يتشتت الأمر ، وكان لأبى بكر بمنزلة الوزير الأول ؛ يُشير عليه ويُعينه ، وكان أبو بكر يُحيل عليه فصل القضايا ، فكأنه كان قاضيه ، وإن لم يتسم باسم القاضى .

وقد أفادته صحبة أبى بكر الأناةَ فى الأمور ، والترفق فى الأحكام !.

ولما أحس أبو بكر بدنو أجله رأى أن ينتخبَ خليفته قبل موته ، ورأى أن عمر لذلك أهلا ، ولكنه أحب أن يستشير فيه كبارَ الصحابة ، فدعا عبد الرحمن بن عوف ، وقال له :

أخبرنى عن عمر ، فقال :

يا خليفة رسول الله ، هو – والله – أفضل من رأيك فيه ، ولكن فيه غِلظة !

فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه ...

ثم دعا عثمان بن عفان ؛ فقال :

يا أبا عبد الله ، أخبرنى عن عمر ، قال :

اللهم إن علمى به أن سريرَته خيرٌ من علانيته ، وأن ليس فينا مثلُه ..

واستشار غيرهما ، ولما اطمأن إلى المشورة عهد إلى عمر بالخلافة من بعده

تُرى كيف كان عمر فى خلافته ، وإمارته ؟!

إمـــارتـه
كانت إمارتـه رحمـة

قال الراوى : وكانت إمارته رحمة ، فقد أتاح للمسلمين أثناء خلافته لونا من الحياة مازالت الأمم المتحضرة الآن فى الغرب مقصرة عن بلوغه على شدة ما تجتهد ، وتجاهد فى سبيله ، ومازال المسلمون فى هذه الأيام يرون هذا اللون من الحياة التى أتاحها عمر للناس حُكما ولا يدرون متى يصبح حقيقة ؟!!

فعندما توفى أبو بكر – رضى الله عنه – سنة ١٣ من الهجرة ، فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية ، وأصبحّ عمر خليفة من بعده ، بسط ظلَّ الإسلام على كثير من الأقطار ، ونصر الحق والعدل ، وسَهِر على مصالح الرعية بعطف وإخلاص وإيمان ، وسار فى الناس سيرة رشيدة منقطعة النظير فى سياسة الدين والدنيا ، جعلته سيد العادلين ، وإمام العباقرة من الحكام .

● وكان عمر أول من لقب بأمير المؤمنين ، وذلك أن المغيرة بن شعبة قال له :

يا خليفة الله ، فقال عمر :

ذاك نبى الله داود – عليه السلام – فقال المغيرة :

يا خليفة رسول الله ، فقال عمر :

ذاك صاحبكم المفقود (يعنى أبا بكر) .

فقال المغيرة : يا خليفة خليفة رسول الله !

فقال عمر : ذاك أمر يطول !

فقال المغيرة : يا عمر .

فقال له : لا تبخس مقامى ! أنتم المؤمنون وأنا أميركم .

● وكان عمر أول من استقضى القضاة بل كان من أبرز أعماله تولية القضاة فى الأمصار ، وقد كان العامل من قبل هو الذى يقوم بأمر القضاء إلى جانب الإمامة والقيادة والسياسة ، فبعد أن اتسعت الفتوح ، وكثرت المشاغل اقتضى الأمر تعيين القضاة ، وقد رسم لهم مبادىء الحكم وقواعد العدل . فساروا على نهجه ، ونشروا العدل فى كل مكان !

المساواة أمام القضاء

قال الراوى : لقد سبق عمر – رضى الله عنه – عصره بما قرره من مساواة أمام القضاء !

وقد جاءت الثورة الفرنسية بعد الإسلام بزمان لتنادى بالمساواة هدفا من أهدافها .

ولكن الإسلام كان قد تخلص من هذا كله منذ زمن بعيد وكان حريصا على أن يسوى بين الفاتحين وأهل البلاد المفتوحة ، فقد ولى عمرو بن العاص حكم مصر بعد الفتح ، وتجادل ابن عمرو ، وابن أحد أبناء الفقراء ، فاعتدى ابن الأمير على ابن الفقير ، وشكا المعتدى عليه إلى عمر بن الخطاب ، فأرسل يقرع عمرو بن العاص : « متى إستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! » .

ولقد كان عمر – رضى الله عنه – شديداً حقًّا فى إقرار هذه المساواة لكيلا يشعر أحد الذين دخلوا الإسلام حديثا بأنه أقل درجة ، ولكيلا يشعر أحد السابقين ، أو القرشيين بأن السبق إلى الإسلام ، أو الإنتماء إلى قريش يمنحه إمتيازًا مَّا ، فتنهار قاعدة العدالة التى هى أحد أركان النظام الذى أنشأه الإسلام .

ولقد كان ببعض الصحابة هذا الحرص نفسه ، وكانوا يشعرون بحرج كبير من كل ما قد يثير شبهة التفرقة ، أو يمس قاعدة المساواة .

وقد احتكم يهودى وعلى بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين ، فقال عمر لعلى :

« قم يا أبا الحسن ، واجلس أمام خصمك ، ساو خصمك يا أبا الحسن » .

فقام على فجلس أمام خصمه مساويا له ، وقد غشيت وجه على كرم الله وجهه كآبة ، فلما انتهى النزاع ، وقضى عمر ، وانصرف اليهودى ، قال عمر متلطفا : « أكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك ؟! » ولكن عليا – رضى الله عنه – أجاب : « كلا ، ولكنى كرهت أنك لم تُسَوّ بيننا حين قلت لى : يا أبا الحسن (وأبو الحسن : كنية على ، والنداء بالكنية تعظيم عند العرب) .

بهذه الروح عند الحاكم والمحكوم أكد الفكر الإسلامى الحر قاعدة المساواة أمام القضاء : أن الناس سواء فى الحقوق والواجبات ، لتكون هذه المبادىء من بعد هدف الثورات الكبرى فى التاريخ الإنسانى .

ورسالته إلى أبى موسى الأشعرى تتضمن آراءه الحكيمة .

● وكان عمر أول من وضع التاريخ الإسلامى الهجرى الذى ينبغى أن نحرص عليه فى مكاتباتنا ، وكان لذلك سبب طريف .. دفع إليه صك موعده شعبان ، فقال :

شعبان هذا الذى مضى ، أو الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟!

ثم دعا أصحاب الرسول ﷺ فقال لهم :

ضعوا للناس شيئا يؤرخون به ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام الرسول بالمدينة ، فوجدوه عشر سنين فقال لهم : أكتبوا التاريخ منذ خروج النبى ﷺ من أرض الشرك ، أى : منذ هاجر ، وكان ذلك فى عام ستة عشر فى شهر ربيع الأول[1].

● وكان عمر أول من دون الدواوين ، وفرض للمسلمين على أقدارهم ، وتقدمهم فى الإسلام ، وهو أول من اتخذ بيت المال ، ورتب البريد إلى الأقطار .

وأول من أسس الحسْبة فى الإسلام : وهى مراقبة السوق والنظر فى المكاييل والموازين ...

وكان عمر أول من مصر المدن : مصّر الكوفة والبصرة ، والجزيرة ، وأنزل فيها العرب ، وكان قد رأى تغيُّراً فى ألوان الذين نزلوا العراق ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : إن وَخَامَةَ تلك البلاد هى السبب ، فأمر الرواد أن يرتادوا مكانا موافقا لسكنى العرب ، وقال لهم :

إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها ، فكان ذلك سبب تخطيط الكوفة وما بعدها من البلاد رفقا بالعرب .

---

(١) يبدأ التقويم الهجرى من ١٥ يونية سنة ٦٢٢ م .

أوّليـات عمـر

قال الراوى : كان لعمر – رضى الله عنه – أوليات لم يُسبَق إليها وتلك سمات العبقرية ..

قالوا : أول من خاطب بـ « أطال الله بقاءك » عمر ، قاله لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه . وأول من قال له : « أيدك الله » .

وهو أول من اتخذ بيت المال .

وأول من كتب التاريخ من الهجرة .

وأول من سنّ قيام رمضان .

وأول من عَسّ بالليل .

وأول من عاقب على الهجاء .

وأول من ضرب فى الخمر ثمانين .

وأول من حَرّم المتعة .

وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد .

وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز .

وأول من عين شخصا مخصوصا لإقتصاص أخيار العمال ، وتحقيق الشكايات التى تصل إلى الخليفة من عماله وهو « **محمد بن مسلمة** » .

وأول من فتح الفتوح ، ومسح السواد (قاس أرض القرى والريف) .

وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة (البحر الأحمر) إلى المدينة .

وأول من احتبس صدقة فى الإسلام .

وأول من أعال فى الفرائض .

وأول من أخذ زكاة الخيل .

وأول من اتخذ الدِّرّة (السوط يضرب به) .

وأول من استقضى القضاة فى الأمصار .

وأول من مَصّر الأمصار « بنى مدنا جديدة » .

وأول من سُمّى أمير المؤمنين .

وأول من اتخذ دار الرقيق ، يعين به المنقطع .

وأول من وسع المسجد النبوى وفرشه بالحصباء .

وأول من ضرب النقود فى الإسلام .

وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل .

وأول من أقام واليا للحِسْبة (مراقبة الأسعار ورعاية الآداب) .

وأول من شق الترع وأقام الجسور .

وأول من وضع المرابِطَةَ من الجند فى الثغور وسمى الأجناد .

فتوحاته :

فتح عمر – رضى الله عنه – « الفتوحات العظام » فى كل بلد .

ومن فتوحاته : مصر ، والشام ، والعراق ، والجزيرة ، وإرمينية وفارس ، وخوزستان ، وأذربيجان ، والجبال ، وطرابلس ، مما لم يفتح مثله على أحد قبله ولا بعده ، وما طاش له سهم ، ولا التوى له علم . يحرص على حياة المسلمين ، ويولى جيوشه رجالا من أهل الفقه والعلم والدين !

وقد ظل فى خلافته المثل الأعلى للحكم إلى أن مات شهيدا بطعنة من الشقى أبى لؤلؤة المجوسىّ ، غلام المغيرة بن شعبة ، لثلاث ليال بقين من ذى الحجة بعد أن قضى فى الخلافة عشر سنوات وستة أشهر ، وثمانية أيام .

وكانت خلافته رحمة .

دعاء عمر

● لما ولى الخلافة قال :

اللهم إنى شديد ، فليّنى ، وإنى ضعيف فقوّنى ، وإنى بخيل فسخّنى .

● ولما وقعت المجاعة فى عام الرمادة كان يدعو :

اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدى !

● ولما وجه الجيوش لتنشر الإسلام قال :

اللهم ارزقنى قتلا فى سبيلك ، أوْ وفاة فى بلد نبيِّك .

● ولما تقدمت به السن كان يقول :

اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فإقبضنى إليك غير مضيّع ، ولا مفرّط !